

تفسير أبي السعود

سورة الفرقان 41 43 .

لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لآثارها خلا أنه اكتفى عن التصريح بإنكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من إنكارهم للجزاء الأخرى الذي هو الغاية من خلق العالم وقد كنى عن ذلك بعدم النشور أي عدم توقعه كأنه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الأخرى ولا يرون نفس من النفوس نشورا أصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الإطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وإنما يحملونه على الإتفاق وإما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر إلى التوبيخ بما هو أعظم منه من عدم توقع النشور وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أي ما يتخذونك إلا مهزوءا به على معنى قصر معاملتهم معه A على اتخاذهم إياه A هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه قيل ما يفعلون بك إلا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلى من سورة الأنعام وقوله تعالى هذا الذي بعثنا رسولا محكى بعد قول مضر هو حال من فاعل يتخذونك أي يستهزؤون بك قائلين هذا الذي بعثنا رسولا محكى بعد قول وإبراز بعثنا رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفته A مع كونهم في غاية النكير لبعثه A بطريق التهكم والاستهزاء وإلا لقالوا أبعثنا رسولا أو أهدأ الذي يزعم أنه بعثنا رسولا إن كان مخففة من إن وضمير الشأن محذوف أي إنه كان ليضلنا عن آلهتنا أي ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا بحيث يبعدنا عنها لا عن عبادتها فقط والعدول إلى الإضلال لغاية ضلالهم بإدعاء أن عبادتها طريق سوى لولا أن صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في أمثال هذا الكلام تجرى مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى كما أشير إليه في قوله تعالى ولقد همت به الخ وهذا اعتراف منهم بأنه A قد بلغ من الإجهاد في الدعوة إلى الحق وإظهار المعجزات وإقامة الحجج والبيانات إلى حيث شارفوا أن يتركوا دينهم لولا فرط لجأهم وغاية عنادهم يروي أنه من قول أبي جهل وسوف يعلمون جواب من جهته تعالى لآخر كلامهم ورد لما ينبء عنه من نسبه A إلى الضلال في ضمن الإضلال أي سوف يعلمون البتة وإن تراخى حين يرون العذاب الذي يستوجبه كفرهم وعنادهم من أصل سبيلا وفيه ما لا يخفى من الوعيد والتنبيه على أنه تعالى لا يهملهم وإن أمهلهم رأيت من اتخذ إلهه هواه تعجب لرسولنا A من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم من الأقوال